مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: 09 عدد: 02 السنة 2023 E-ISSN:2588-2325

الأنثروبولوجيا الدينية لدى كلود ريفيير أنموذجا.

religious anthropology -Claude Riviére as a model-

برقرق حنان*، جامعة عبد الحميد مهري –قسنطينة 2-، الجزائر

hanane.beregrag@univ-constantine2.dz

تاريخ الإرسال: 2023/06/07 تاريخ القبول: 2023/12/27 تاريخ النشر: 2024/01/20

ملخص:

تسلك مقاربة الأنثروبولوجي الفرنسي "كلود ريفيير" منحى ابستيمولوجي يأخذ من الدين منطلقا لتأسيس دراسته العلمية للإنسان، وتذكر المصادر على اختلافها سُبل هيمنة التيار الفلسفي والسيكولوجي على البحوث الدينية منذ التفسيرات الأولى لهذه الظاهرة، لتُقدّم الأنثروبولوجيا مقارباتها حول الدين خاصة مع "إدوارد تايلور" وذلك في كتابه "الثقافة البدائية" وتنسل لاحقا مقاربات لا حصر لها حوله. نحاول عبر هذه المقالة البحثية مناقشة المنعطف الفكري للأنثروبولوجيا الدينية وفقا للتصورات التي قدّمها "كلود ريفيير". فما خصائص هذه المقاربة التي قدمها "ريفيير" للأنثروبولوجيا الدينية؟ وكيف نظر إلى الدين والمفاهيم القريبة منه؟ وحتى نتمكن من معالجة هذه الإشكالية استندنا على المنهج التاريخي، بالإضافة إلى تقنيات التحليل وذلك لما يتطلبه الموضوع، وفق استراتيجية بحثية مكوّنة من مرحلتين مرحلة مفاهيمية نشرح فيها أهم المصطلحات التي أوردها "ريفيير" ضمن مشروعه، ومرحلة ثانية تكون عبارة عن تتبع لسياق الأنثروبولوجيا الدينية ضمن الأنثروبولوجات الأخرى، ووصف تلك الانتقالة وكيف أُستُفيد من مقاربته.

الكلمات المفتاحية: الأنثروبولوجيا، الدين، كلود ريفيير، المقدّس، النقد.

Abstract :

In This article we discuss the epistemological approach of "Claude Rivière", which takes the religion as a starting point for his scientific study in anthropology. many books mentioned abstract, abstract, abstract, that philosophical and psychological dominating the religious research since the first explanations of this phenomenon. and from "Edward Tylor"'s research in his book "Primitive Culture" religion has become an anthropology issue.

* المؤلف المرسل

So we try to discuss "Claude Rivière"'s religious anthropology intellectual turning point. So What are the characteristics of "Rivière"'s conceptual approach? In order to address this problem, we relied on the historical approach, in addition to analytical techniques, with a strategy consisting of two phases a conceptual phase in which we explain the most important terms mentioned by "Rivière, and a second phase The impct of religious anthropology on other anthropologies. And how we benefit from his approach

Keywords: Anthropology, Religion, Claude Riviére, The sacred, criticism.

مقدمة:

تُعرّف الأنثروبولوجيا بكونها الدراسة العلمية للإنسان، وتندرج ضمن العلوم الإنسانية التي لاقت رواجًا، وشهرة واسعة خاصة في الدول الأنكلوساكسونية، ومنذ عقود ازداد الاهتمام بها بل وصارت تُمثّل دُرجة وصرعة هذا العصر؛ وذلك لأنها تحيط بالإنسان جملة وتفصيلا -جسدا وروحا- في عالمه البيولوجي والاجتماعي والثقافي.

نسعى عبر هذه المقالة البحثية من بسط مقاربة مفاهيمية حول فرع من فروع الأنثروبولوجيا المعاصرة ألا وهو الأنثروبولوجيا الدينية وفق تصور الباحث الفرنسي "كلود ريفيير"، الذي ارتحل من ميدان السوسيولوجيا إلى ميدان الأنثروبولوجيا.

فما خصائص هذه المقاربة التي قدمها "ريفيير" للأنثروبولوجيا الدينية؟ وكيف نظر إلى الدين والمفاهيم القريبة منه؟ وحتى نتمكّن من مناقشة هذه الإشكالية لجأنا إلى المنهج التاريخي بالإضافة إلى تقنيات التحليل وذلك لما تتطلبه طبيعة الموضوع، وفق طرح منهجي يسلك منحيين، في البداية طرحنا عناصر مفاهيمية كان لا غنى لنا عنها من تقديمها. وفي مستوى ثان حللنا الإسهام الإبستيمولوجي لـ"كلود ريفيير" وكيف صاغ مقاربته ضمن الأنثروبولوجيا العامة والأنثروبولوجيا الدينية خاصة، وذكرنا جديده حولها. أما الأهداف التي نسعى إلى تحقيقها متمثلة في رصد منابع الأنثروبولوجيا الدينية لدى الباحث "كلود ريفيير" والمفاهيم التي صاغها في سبيل ذلك، خاصة مع تزايد حاجة الإنسان المعاصر لفهم جوهر الدين وتحديدا في جانبه التطبيقي، فلم تعد تفي المقاربات الفلسفية والوصفية لذلك.

1.معالجة مفاهيمية:

قبل مناقشة الإسهام الانثروبولوجي لـ"كلود ريفيير" علينا في بداية الأمر الوقوف على مختصر سيرته العلمية، وأهم أعماله الأكاديمية، كما سنتطرق إلى المفاهيم الأساسية التي تُشكل مقاربته.

1.1. بيوغرافيا كلود ريفيير:

وُلد الباحث الأنثربولوجي "كلود ريفيير" " Claude Riviére " عام (1932) بفرنسا، وقد كان سابقا مدرّسا في مدرسة ابتدائية –Les Sables d'Olonne- ثم جنديا في الجزائر، فأستاذًا للفلسفة في الثانويات الفرنسية. ويشغل "كلود ريفيير" حاليا منصب الأستاذية في تخصص الأنثروبولوجيا بجامعة "باريس الخامسة" بفرنسا، وهو مؤلف العديد من الكتب حول إفريقيا والطقوس، ببراعة وصرامة علمية ناقش الحقائق الدينية وتتبع السياق الذي تناول فيه علماء الاجتماع والأنتثروبولوجيا الظاهرة الدينية (**Laugrand, P.326**، 1999).

تحصّل على درجة الدكتوراه بالفلسفة حول موضوع "التشيؤ الاجتماعي" l'objet social، وتحصل على دكتوراه دولة ثانية حول موضوع " ديناميات التقسيم الطبقي الاجتماعي في غينيا"" La dynamique de la stratification sociale en Guinée". ودرس الطقوس السياسية والعلمانية في أوروبا(**www.puf.com, 2000**) لديه العديد من الكتب أهمها: سوسيوأنثروبولوجيا الدين، مدخل إلى الإنثروبولوجيا، الطقوس المدنسة، الأنثروبولوجيا السياسية(**babelio, 1995**) وغيرها من الكتب كالطقوس السياسية، والمقالات العلمية ذات الصلة كمقاله حول "إعادة السحر إلى العالم"، "ما بعد تحولات الأسطورة والاعتقاد"...إلخ.

2.1. مفهوم الأنثروبولوجيا:

تتعدد التعاريف والمقاربات التي صيغت في سبيل ضبط معنى الأنثروبولوجيا، ولكنها تتفق جميعها في كونها: "دراسة الاختلافات الاجتماعية والجسمية لدى البشر، من حيث هو كائن فيزيقي واجتماعي" (الصالح، 1999، ص.42) ولم ينحصر مجال الأنثروبولوجيا حول هذين الجانبين للإنسان بل اتسع إلى جوانب كثيرة مثل الأنثروبولوجيا المعرفية، والتكوينية،والثقافية وغيرها...إلخ

ويرجع "كلود ريفيير" أصل كلمة الأنثروبولوجيا إلى اللغة "اليونانية من (أنثروبوس Anthropos) وتعني علم الإنسان بشكل عام، وتساءل وحدة الجنس البشري، إلا أن هذا لا يعني أنها تنظر إلى الجنس البشري كوحدة كلية، بل كمجتمعات تتشكل بشكل هرمي منها البدائية ومنها المتقدّمة، وعلى الأنثروبولوجي التميز عند اشتغاله بين مفاهيم عدة: كمفهوم الآخر: حيث صوّرت الأنثروبولوجيا في البداية هذا الآخر باعتباره كائنا خارجا تاريخيا (بمعنى بدائي) وجغرافيا (لا ينتمي إلى أوروبا)، وتم تشويهه بالرسومات الكاريكاتورية ويظهر ذلك في توصافاتهم كقولهم الاستبداد الشرقي واللاعقلانية الأفريقية والوحشية الهندية وفي هذا القرن يمكن عكس تلك المصطلحات حيث تحققت المساواة والأخوة" (**Rivière, 2013, P.5,7**)فلماذا استمر السعي نحو تهديم حضارات الآخرين، واستعمارهم، وفرض هيمنة عليهم، وهم لم يكونوا إلا مجتمعات كالمجتمعات الأخرى؟ يتساءل "ريفيير"، بل ويُعيب الانحياز

الإيديولوجي الغربي في دراساتهم الأنثروبولوجية، لهذا حاول عبر مختلف كتبه أن يبعث فهوما جديدة للمصطلحات الأنثروبولوجية ويحرك الانحياز الأيديولوجي فيها ويقوّضها.

ويميّز "ريفيير" بين فروع المدارس الأنثروبولوجية الغربية فالمدرسة الأولى تُسمى " الأنثروبولوجية الاجتماعية وهي متضمنة ضمن الأنثروبولوجيا العامة، وقد عرّفتها المدرسة البريطانية (من خلال المؤسسات الاجتماعية مثل الأسرة، والقرابة، والتنظيم السياسي...)، أما الأنثروبولوجيا الثقافية فقد ولدت في الولايات المتحدة الأمريكية مع "بواز **F.Boas**" وتهتم بالسمات الثقافية وطرق انتقالها، أما في فرنسا فلا يزال مصطلح الإثنولوجيا رائجًا وذلك لارتباطها بفلسفة الإنسان والتاريخ، فهما عاملان ساعداها على التطوّر. **(Rivière, 2013, P.12)** ، إذا فلكل فرع من الفروع اهتمامه العلمي الخاص وسياق نشأته وظهوره.

3.1 موضوع الأنثروبولوجيا ومنهجها لدى "ريفيير":

بالنسبة لـ"كلود ريفيير" فإن موضوع الأنثروبولوجيا يتحدد في وحدات اجتماعية صغيرة الحجم ومتماسكة، والتي تشكل عيّنة تمثيلية لمجتمع كلي (كدراسة قرية صغيرة لمجتمع كبير)، أما المنهج المستخدم فهو المنهج الاستقرائي من خلال استيعاب العلاقات بين الأفراد، والمؤسسات، ومبادئ التنظيم والإنتاج، والقيم التي توجّه الحياة المشتركة، فالأنثروبولوجيا تدرس الإنسان في جميع أبعاده، حيث يأخذ كل عنصر منعزل معنى الكل الثقافي الاجتماعي الذي أُقحم فيه (**Rivière**,2013،**P13**) ويمكن فهم تلك العناصر الثقافية وتفسيرها بالاستعانة بالتخصصات العلمية التي تنفتح على الأنثروبولوجيا، كعلم الاجتماع، والتاريخ، اللسانيات، الفن...إلخ.

وهناك تقنيات منهجية كبرى رصدها "ريفيير" في مغامرة الأنثروبولوجي على الميدان تتضمن : الملاحظة بالمشاركة، التحقيق مع المخبرين (الرواة)، تأويل النتائج، الدراسات المونوغرافية المحددة بالمكان والزمان وهي دراسة وصفية تفسيرية وقد تتخللها المقارنة (**Rivière**،2013, **P18**) كل ذلك يجعل من مهمة الأنثروبولوجي مهمة صعبة ومعقّدة تتطلب قدرات ومؤهلات عالية، ولهذا نجده يَنتقد النظرة التبسيطية والسطحية التي قدّمها الأنثروبولوجيين السابقين للمجتمعات الأخرى، وإصدارهم لأحكام تعسفية حول تلك المجتمعات.

4.1 الدين والمقدّس لدى "ريفيير" :

وضّح "كلود ريفيير" ضمن مقال له بعنوان "الطقوسية على هوامش المقدّس" أن حقل أو مجال المقدس أشمل من المجال الديني، وهو بالدرجة الأولى مؤسساتي institutionnalisé ، دون أن يكون مؤهلا لتغطية التجربة الاجتماعية ككل، وهكذا يمكن أن يميل التديّن إلى أن يُستثمر في ذاته من خلال السياسة والعلمانية، أو كإيديولوجيا مثلما هو الحال مع مقاربة "هيدجر" **(Rivière, LA RITUALITÉ AUX MARGES DU SACRÉ, 1996, p3)** ، وقد تختلف التسميات حول المقدّس وما يُحيط به، فهناك من

يعتبره القوّة الخارقة، أو الميتافيزيقية، ويربط "ريفيير" بين المقدّس الديني والسياسي والاجتماعي؛ حيث يتجاوز حضوره المادي العياني إلى الماورائي، وقد يكون الأسطورة، وقد يكون الشيء المسؤول عن أمر ما، إنه الطريقة التي نخفي بها عجزنا، وهو ما يفترضه المرء مما يراه ويلاحظه خارجيا، أما الطقوس فهي المظهر الخارجي للمقدس، فلا أحد يعرف عن الآلهة شيئا سوى بعض الأساطير. (**AUX MARGES ,1996, p3 Rivière, DU SACRÉ LA RITUALITÉ**)

إذا يفترض "ريفيير" التمييز بين مستوى ظاهر يسمى الطقوس والتدين، ومستوى باطن هو الدين والإيمان، وأن المستوى الظاهر يتمثل في تلك التأويلات والسلوكيات التي يقوم بها الإنسان في سبيل إقامته للدين، وفي بحثه عن أصل اشتقاق كلمة دين، تتبع "ريفيير" معنى كلمة دين منذ اليونان بالرجوع لأفكار لوكريس **Lucrée** الأبيقوري (محب اللذات) وقد ذكر ذلك في كتابه (دي ناتورا روريوم) " De natura rerum" بحيث يتوجس الإنسان من قدرة الآلهة التي تُصوّر أنها أصل النظام في العالم، وقد أظهر من خلال الطقوس وخاصة طقس التضحية على وجه الخصوص إشارات إلى التبعية والخضوع، وعن سيسرون الزينوني (متبع مبدأ العقلانية) فقد قصد بالدين أنها كلمة مشتقة عن اللفظ relegere أي التأمل بدقة، وتعني عبادة الآلهة الذين هم المنظّمون الحقيقيون للعالم، وقد كانت تنطبق صفة متديّن فقط على المعمّدين، والنّساك والرهبان الذين نذروا أنفسهم للرهبنة (ريفيير، 2015، ص31)

إن الحفر الأركيولوجي والتأصيل لكلمة الدين جعل عمل "ريفيير" ينطلق من أولى اسهامات اليونانيين حول الكلمة، ليقتفي آثار المقاربات السابقة للدين لينتهي للكشف عن علاقة الأنثروبولوجيا بالدين وكيف تشكّلت الأنثروبولوجيا الدينية، وهذا ما سنكشفه في العنصر الموالي.

2.مقاربة "كلود ريفيير" لأنثروبولوجيا الدين:

سنحاول في هذا العنصر تفكيك المساعي العلمية التي قدّمها "كلود ريفيير" حول الأنثروبولوجيا الدينية وكيف انتقل من مرحلة النقد إلى عملية التأسيس.

1.2 نقد الدراسات السابقة:

عرض "كلود ريفيير" أفكار الفلاسفة وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيين السابقين الذين اتخذوا من الدين موضوعًا لدراستهم، حيث حدد في البداية مكانة أنثروبولوجيا الدين، في كونها لا تقتصر على وصف الأمور الدينية وتفنيدها، وتصنيفها، بل ترى أن الدين جزء من الثقافة، يبحث عن تفسير أوجه الشبه والاختلاف بين المظاهر الدينية في المجتمعات المختلفة، ويهتم أيضا بالطقوس والأساطير، والسحر، وتركز الأنثروبولوجيا على المجتمعات صغيرة الحجم، ذات الثقافة المحدودة، والعتيقة أحيانا، والتي تنصهر فيها العادات القبلية والدين (ريفيير، 2015، ص20) أما الظواهر الدينية لديه فهي ظواهر مؤسساتية، تدخل في حراك المجتمع وتقلباته، وكذلك في خصوصيات نقل هذه المعاني، وتوجيه البُنى في

المجتمعات الحديثة والتقليدية(**Seca, 1997, p151**) ولذلك تتضمن الدراسة الأنثروبولوجية للدين حقلا دلاليا معمقا يشمل: المعتقد، الأسطورة، ممارسة الطقوس، وغيرها...إلخ

انقسمت المقاربات حول الدين إلى ثلاثة اتجاهات؛ أولا: "دوركايم" حيث ذهب إلى القول أن كل عبادة دينية ليست إلا عبادة يحملها المجتمع لنفسه، ويُظهرها وقت الاضطراب الاجتماعي لاستعادة تسليط الضوء على تماسك المجتمع (ريفيير،2015، ص77) وقد تطرق بالشرح المستفيض لأهمية الطقوس الدينية في كتابه "الأشكال الأولية للحياة البدائية" وكيف تساهم –هذه الطقوس- إلى إيقاظ الأفكار والمشاعر وربط الماضي بالحاضر، والفرد بالجماعة، وأن الحالة النفسانية التي تعيشها الجماعة عندما تجتمع تُشكّل الأساس الوحيد الصلب والمستقر (دوركاهيم، 2019، ص 478) فالدين لدى "دوركاهيم" مجرد وسيلة لترسيخ سطوة المجتمع، غير أن "ريفيير" يعتبر هذه الأفكار بالرغم من أهميتها أفكارًا زائفة، بحيث يبدو الدين عند دوركايم بمنزلة تأليه للمجتمع، من خلال تقديس قيمه وأحاسيسه، وأن التغييرات المتعلقة ببناء المجتمع تؤدي إلى تغيير البنية الدينية ولا تُفسّر النظرية التي تستوعب كل الأديان والاتساق الفريد لكل دين(ريفيير، 2015، ص78)، يتساءل "ريفيير" كيف يمكننا تفسير اختلاف المذاهب الدينية، وتنوعها في تماسك المجتمع الواحد، ونحن نعلم أن معظم الحروب والنزاعات كانت بسبب الطوائف الدينية والعرقية، فصحيح يمكن أن يكون الدين عاملا وظيفيا لتماسك المجتمع، لكنه قد يكون في المقابل سببًا لوقوع الحروب الطائفية، والنزاعات التي تؤدي لاضطرابات غير محمودة العواقب فتزعزع استقرار المجتمع وتماسكه.

الاتجاه الثاني وهو الاتجاه الويبيري نسبة إلى ماكس ويبر (1864- 1920) الذي يبني فكره في علم اجتماع الأديان على الارتباط بالمنظمة الاجتماعية، حيث أقام العلاقة بين الدين والسياسة والاقتصاد، وقد تبيّن له أن المصالح الدينية تختلف وفقا لوضع المؤمن، ففي الحالة التي يكون المؤمن في موقف المهيمن فإنه يبحث في الدين عن شرعية النظام المطبّق، وفي الحالة التي يكون فيها المؤمن في وضع المهيمن عليه فإنه يبحث عن مبرر شرعي للنظام المفروض، ومنطق للخلاص، أو لموقف تسيطر عليه فكرة البحث عن الجزاء مقابل المعاناة (ريفيير، 2015، ص81) وقد فصّل موقفه حول الدين في كتابه "الأخلاق البروتيستانتية وروح الرأسمالية" واعتبر أن الديانات لها ما لها من التأثير، فالكاثوليكية أكثر إنفصالا عن العالم وأن عناصرها تنم عن مثال أعلى أكثر سموًا، وترفض المادية، باعتبارها نتيجة من نتائج علمنة كل مجالات الحياة على يد البروتستانتية. (فيبر، 1990، ص19) فبين التنسك الكاثوليكي الإيماني والمادية البروتستانتية سعى "ويبر" لتفسير الظاهرة الدينية بالرجوع إلى التطور الاقتصادي، وارتباط الرأسمالية بالبروتستانتية، حيث أكّد أن الدين البروتستانتي باعتباره بنية فوقية، هو الذي ساهم في ظهور النظام الرأسمالي في أوروبا الغربية، لاسيما مذهب كالفين (حمداوي، 2017، ص93)، وقد ثمن "ريفيير" آراء "ويبر" في كونها آراء بحق وصفت الظاهرة الدينية وتداخلاتها ضمن المجالات الأخرى الاقتصادية،

والاجتماعية، والسياسية، فالدين منتج للإبداعات والتغيير، وليس فقط منجتًا لنظام اجتماعي. (ريفيير، 2015، ص82)، وقد عُد كتاب "ويبر" هذا من بين أشهر الكتب في سوسيولوجيا الأديان، غير أنه لم يفلح في معالجة النظم الدينية التي تطرق إليها بشكل وافٍ، إذ يُذكر أنه لم يستند في دراسته عن البوذية إلا على نصوص كنسية، لا تفرق بين علم الخلاص البوذي للزهاد الشاردين، وبين الممارسات الحقيقية للمريدين من الشعب، كما لم يُفسّر الطريق المسيحي سبب تفرع المسيحية وتأثرها بثقافات وطوائف جماعات دينية في غاية الاختلاف (ريفيير، 2015، ص82) وهذا لا ينفي القيمة المعرفية لأفكار "ويبر" والتي كانت ولا تزال أفكارًا ساهمت في تحليل الدين من منظور سوسيولوجي.

الاتجاه الثالث ويتعلق بأسس الدراسة الكمية للممارسات الدينية، حيث تطرق "ريفيير" وفيه تناول الصعوبات التي يواجهها البحث الميداني في مجال الأنثروبولوجيا الدينية: لغات، أسرار المشاركة، إخفاء طقوس نادرة، وعقوبات مؤلمة فاضحة، وروايات أسطورية ناقصة، وعدم إمكانية تسجيل غناء وكلام النساء، وتشويه ترجمات المفسرين (ريفيير، 2015، ص93) وبالإضافة إلى ما تم ذكره هنا، هناك عدة صعوبات على الأنثروبولوجي الديني أن يتجاوزها كضرورة الالتزام بما يراه ويقرأه سواء تعلق الأمر بالشعائر والطقوس الممارسة، أو في محاولة تفسيره وشرحه لها، فلا يلجأ للتهويل ولا للتضخيم، كما يجب عليه أن يتمتع بالروح النقدية، وأن لا يترك أي شيء يشوش على ذهنه أثناء ممارسة الظواهر الدينية.

2.2 التأسيس لأنثروبولوجيا الدين:

كيف نؤسس لأنثروبولوجيا الدين بحسب "كلود ريفيير"؟ والجواب نجده في ضرورة استعانة الأنثروبولوجي بالتخصصات العلمية الأخرى، وإقرار التكامل المعرفي بين التخصصات، وذلك لأن الأديان تحتوي مذهبا ومجموعة من العقائد، يترك المتخصص في الأنثروبولوجيا مهمة تعريفها وتقييمها على عاتق رجل الدين، ومهمة تفسيرها ووضعها داخل الإطار الاجتماعي المناسب على عاتق المتخصص في علم الاجتماع، يولي المتخصص في أنثروبولوجيا الأديان اهتمامًا خاصا بشأن ما يسبق ظهور هذه العقائد أي بالأساطير (ريفيير،2015، ص99)، فلكي يباشر الأنثروبولوجي عمله، يستند إلى ماضي الظواهر الدينية التي يُفترض أنها ساهمت بشكل أو بآخر في تكوين هذا الدين أو ذلك، و تعود نشأة الأسطورة إلى عصور بدائية، أرضية أو جوفية، أو سماوية**(Rivière c. , 1990, p15)** فالأسطورة العنصر المفسّر للدين، ولا يمكن أن يوجد دين في غياب الأسطورة، حيث تتميّز الأسطورة بشكلها السردي، وتلعب فيها الشخصيات الخيالية دور البطولة، وفي السرد الخالي من التعليق يتداخل التاريخ والخرافة والأخلاق دون تقديم أي تفسير (ريفيير، 2015، ص100) وتنتقل الأسطورة من الحالة الكتابية إلى الشفاهية عند ممارسة الطقوس، كما تتضمن الأسطورة جوانب رمزية تخفي دلالات يصعب فكّها، وتحليلها ولهذا أكّد "ريفيير" على ضرورة استفادة الأنثروبولوجيا الدينية من مختلف التخصصات والعلوم من التاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها.

وتكمن أهمية الأسطورة في كونها من تزوّدنا بمعلومات ومعارف أكثر حول المجتمع بشكل مادي وملموس **(Rivière c. , Un réenchantement du monde, 2007, p159)**، لكن علينا بدلا من الإنبهار بها، والتأليف حولها يجب إخضاعها للتفسير التاريخي؛ فمثلا كتاب "الغصن الذهبي" لجيمس فريزر" حوى تصورات لا أساس لها، وتم استخراج حقائق سحرية-دينية من سياقها الاجتماعي-الثقافي وسوء فهم، فضلا عن الأخطاء التاريخية (ريفيير، 2015، ص75) فالأنثروبولوجي عمله ميداني وليس مجرد تجميع للآراء والحكايات القديمة من على صفحات الكتب، بل عليه أن يستقصي عن المعلومة ويقارنها مع ما استجد في مختلف العلوم وحتى في طريقة ممارساتها، ويستحضر "ريفيير" الخطوات المنهجية التالية في عملية توفيق المعتقدات بدءًا بالتركيز على السمات الثانوية للثقافة الأصلية، رفض بعض مظاهر هذه الثقافة مع ما يُصاحب ذلك من إبعاد للنماذج الأجنبية، إستيعاب أو إدماج متزايد لعناصر مسيحية فالتوراة (الكتاب المقدّس) صار قارب النجاة للزولو**Zuler**، كما تم إعادة تفسير المسيحية بوجهة نظر وثنية، لأن هناك موضوعات مشتركة بين التراثين، (ريفيير،. 2015، ص299) إن الدين بوصفه أحد مكونات وعناصر الثقافة في أي مجتمع ينتقل كغيره من السمات الثقافية من مكان إلى آخر فتتأثر المعتقدات والأديان ببعضها البعض، وهذا ما أكده **فرانز بواز** حينما عارض فكرة وجود الطبيعة الواحدة للثقافة، واستخدم مصطلح **المناطق الثقافية** ليُشير إلى مجموعات المناطق الجغرافية التي تتصف كل منها بنمط ثقافي معين، ويرجع الفضل إلى المدرسة الانتشارية في طرح فكرة تعدد وتنوع الثقافات والنسبية الثقافية التي أصبحت منذ ذلك الحين من أهم المفهومات الرئيسية في الفكر الأنثروبولوجي (عماد، 2006، ص50-52)، وقد جعل "ريفيير" الدين **توفيقيا**، بسبب ما يستعيده من عناصر مذهبية، وشعائر ونظم أخرى (ريفيير، 2015، ص301) إذا هناك تداخل بين الأساطير والأشعار والرموز فكل منها يخدّم الدين من ناحية ما، ولهذا السبب تتعقد المعالجة الأنثروبولوجية للدين وتتطلب تضافر جهود ونتائج دراسات مختلف المختصين.

وقد نبّهنا "ريفيير" لضرورة أن يعاد النظر حول الأنثروبولوجيا، فلم يعد علماء الأنثروبولوجيا ببساطة مدعوين لتغطية تاريخ ونشأة الإمبراطوريات، بقدر ما يلزم عليهم أن ينقلوا مناهجهم وأساليبهم إلى قلب المجتمعات التي أنتجتهم، وألا تقتصر جهودهم حول العالم الغربي فقط بل عليهم الإجابة على سؤال المسافة والميدان مهما كانت أصولهم**(Bellier, 2002, p550)** بمعنى أن الأنثروبولوجيا المعاصرة لا تركز على المجتماعات القديمة فقط ولا العالم المتخلف بل عليها أن تعيد النظر حول المجتمعات كافة مهما كانت، كما يجب توظيف مناهجها ونتائجها في فهم وتحليل النظم الاجتماعية الحالية.

3.2 هل فقد الدين مكانته في العالم المعاصر؟

ظهرت في العالم الغربي عديد المقاربات والأطروحات التي روّجت لمقولة تعارض الدين والحداثة، حيث فقد الدين على المستوى الاجتماعي مكانته وذلك بدعاوى العولمة وآثارها، وقد تطرق "كلود ريفيير"

لاختبار صدقية هذه الفرضية، حيث أقر في البداية أن فكر ما بعد الحداثة أثر في حقيقة المؤسسات الدينية التقليدية تمامًا مثلما يؤثر على وجوه الحركات الأصولية وعلى أشكال التدين، ولكن هذا لا يعني التخلي عن مصطلح الدين الذي يميّز العرقية الغربية، وإلا سنتخلى عن مصطلحات كالكيمياء والديمقراطية والعلمانية ووسائل الإعلام(ريفيير، 2015، ص309)، فحتى ولو تراجع الاهتمام بالدين وممارسته، إلا أن هذا لا يعني أن منجزات الحداثة قد ألغت الدين، لأنه وفي خضم التعارض بين عالم الحاضر المحدود، مع تناقضاته وعالم المستقبل اللامحدود (آفاق التقدم) يتم خلق مساحة للإيمان.

ففي قلب الحداثة (التي يمكن أن تستغني عن الأديان) فإن هذا الإيمان هو من يمكنه التعبير عن التوتر في الحداثة بلغة الحداثة نفسها: خلال فترات التوسع والنمو التي تتزامن أيضا مع ظهور "الديانات العلمانية والسياسية والعلمية والتكنولوجية" كما كان الأمر خلال الثورة الصناعية في القرن التاسع عشرة"**(Hervieu-Léger, 1990, p25)** فلم ينته الدين عند قدوم هذه الثورة، ولم يتقلص دوره فيها بل كُيّف مع منجزاتها، فتطوّر الدين كوني، دين يتوجه في مبدئه إلى الإنسان وليس إلى ممثلي جماعة ثقافية خاصة، ولا يمثل منعرجا في التاريخ الإنساني، ولكن ظهور وانتشار مثل هذا الدين يضاف إلى ما هو موجود ولا يُلغيه، وبذلك تتواصل العلاقة المطقسنة مع العالم لأنها من نفس طبيعة الاجتماعي (...) واتساع مفهوم النهايات والموت في الفكر المعاصر (نهاية التاريخ، الإيديولوجيات، والروايات الكبرى، وموت الإنسان، ونهاية الدين) كانت نتيجته الطبيعية في رواج هذا الموضوع (العودة) وذلك أنه من يستكشفونها يتحدّثون أيضا عن لغة الأسطورة (أوجي، 2016، ص106-110) حيث أصبح الحديث عن مفهوم النهايات مقدمة لبدايات أكثر شمولية للأسطورة والدين والإيديولوجا، بل أضحت مقاربات عالم اليوم تتجه لإعادة الدين إلى موقعه ووظيفته الاجتماعية السابقة؛ فتقدّم العلوم الذي يرجع إلى عقلانية حاذقة لا يحد جذريا من مجال المعتقدات، ورغم أزمة الأديان المؤسساتية في عالم الحداثة الغربية، فإننا نلاحظ إعادة تنظيم العمل الديني في أشكال مختلفة، وذلك بالتزامن مع الإنقلابات المتوالية في البناء الأسري، وعدم إندماج الشباب دينيا في المجتمع وثقافة الإستهلاك والشهوانية المادية، ومساهمة العديد من المؤسسات الدينية المحلية خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية في تشكيل القيم المدنية، التي تعمل بمثابة مدارس للمواطنة (ريفيير، 2015، ص314)، كل ذلك سرّع من وقع التغييرات الاجتماعية ومن مكانة الدين لكن هذا التغير لا يعني إزاحته وإلغاء تأثيره، بل أصبحت المفاهيم الدينية منضوية تحت لواء المؤسسات الاجتماعية لا المؤسسات الدينية، وضمن نطلاق عقلاني علماني.

إن الدين في عصر الحداثة أصبح ذا طابع فردي؛ حيث ظهر ما يسمى بـ "فردانية التدين" **L'individualisation de la religion** والتي لا تتعلق فقط بالسلوكيات الدينية، بل بالسلوك الاجتماعي ككل، فالجميع يصنع فهمه للدين، ويوجّه دينه كما يريد، بفضل تراجع القيم التقليدية التي فرضت في وقت ما على الرجال والنساء الخضوع**(Campiche, 1996, P5,6)** ، لتُمكّن المساواة بين الجنسين من

التحرر من سيطرة فهم الدين وممارسته، بل صار التدين أمرًا شخصيا في نطاق الفضاء الخاص للأفراد، والكل يفهم ويمارس دينه كما يشاء.

يُقدّم "ريفيير" في الأخير تصوّره حول موضوع التدين المعاصر من منظور الأنثروبولوجيا فيُحدد في البداية مهمّتها بكونها: ليست هيئة استشارية، بل يمكنها أن تبرهن من خلال أدلة، على أن الخير وإن اختلف مفهومه لا يوجد في العنف، أو في الإزدراء أو الكراهية (ريفيير، 2015، ص315) وهو مفهوم يعرفه الإنسان السوي سواء كان بديئيا أو معاصرا، لأن القيم لا تتجزأ جغرافيا وزمانيا، على عكس ما ذهبت إليه الأنثروبولوجيا الكلاسيكية التي كرّست جهدها في تمرير الأحقاد والاستعمار، وإعلاء شعوب فوق شعوب أخرى، فكان منها إلا أن تكون علومًا خادمة للطغيان.

وقد كان كتاب "الأنثروبولوجيا والإستعمار" لجيرار لكلرك شاهدا على الإنحراف العلمي للأنثروبولوجيا الأولى، حيث استُغل علماء الأنثربولوجيا ومنهم من ارتضى أو أُجبر على العمل **لا** في حقل الأبحاث الخاص به وحسب، أي في الإطار النظري لعلمه، بل في حقل الإدارة، أي في إطار وضع خبراته ومعلوماته في خدمة النظام الإداري الذي أُنيط به تنظيم حياة الشعوب المستعمَرة، وهكذا أرادت الإدارة الإستعمارية دراسة العالم الثالث بوصفه الرجل المريض، وبوصفها الحكيمة (لكلرك، 1990، ص6،8) لكن بعدما استفاق علماء الأنثروبولوجيا من تغييبهم ومن سكونهم وخنوعهم لم يجدوا شعوبا ليدرسوها كي يصححوا أخطاءهم فراحوا يبحثون عن قبائل بدائية لم تصلها نيران الاستعمار وآلياته التهديمية، إن التناقض الأساسي كان دائما وما زال أيضا في زَعْمِ الاستعمار، إنّه يُعلّم، فيما هو يلجم التعليم، يزعم نقل التصنيع فيما هو يقوم فعليا باستيراد أو بتصدير المواد الأولية، وزعم تحقيق تماثل، فيما مارس سياسة إقامة مؤسسة عرقية أو مؤسسات تمارس الإضطهاد مثلما وضّح ذلك "مالينوفسكي" (لكلرك، 1990، ص189-190)، هكذا تم ترسيم الدراسات الأنثروبولوجية الأولى وتلوينها بالعلمية والموضوعية لكنها في حقيقة الأمر إيديولوجيا استعمارية سعت بشتى الطرق إلى ترسيخ قيم الرجل الغربي المتطور المتحضر، والشعوب الأخرى هي شعوب متوحشة، لا ترقى لمصاف الإنسان، فكان الإستعمار بلاشك نظامًا مسيئًا ولكنه أراد أن يكون بدون فضائح **(Jacques, 1988, P434)** بدون أن يعرف الجميع الأسباب الخفية من دراسة هذه المجتمعات، وقد ركّزت الدراسات الأولى على الجانب الطقسي والديني لتُظهر مدى تخلّف هذه الشعوب، غير أن هذا لا يعني أن جميع الدراسات قد كانت ذاتية، بل حاولت بعض الدراسات الأنثروبولوجية أن تنصف الشعوب محل الدراسة؛ مثل مقاربات "إدموند دوتي" **Edmond Doutté**(1867-1926) الذي درس الدين واعتبره المفتاح لفهم الشخصية المغاربية، حيث يُأخذ بعين الاعتبار المكونات الجوهرية التي توجهها وتضبط حركتها اجتماعيا وسياسيًا (الإدريسي، 2020، ص37)، وليس عامل تخلف وتوحش مثلما ذهب في ذلك العديد من الأنثروبولوجيين وعلماء الاجتماع الديني، وذلك إرضاءًا لسياسات مغرضة، وبالرغم من تباين الآراء حول "دوتي" بين من اعتبره رجلا مبشرًا

للاستعمار، ومن احترم موضوعيته خاصة في سفره وتنقله عبر بلاد المغرب والجزائر، ومحاوراته، ليرتبط اسمه في نهاية الأمر بكونه مدشن أنثروبولوجيا الإسلام.

إذا كان ولا يزال الدين أحد عناصر ومكونات الثقافة، وقد سعت الأنثروبولوجيا الدينية المعاصرة إلى إعادة بعث رؤى ومقاربات جديدة حوله تتسم بالموضوعية والعلمية، بعيدا عن التوظيف الإيديولوجي والاستعماري (خاصة فيما يتعلق حول العالم الثالث)، وتصادق على فرضية أن الدين لم ينته في عالمنا المعاصر، بل لا يزال يتمظهر من خلال سلوكياتنا.

خاتمة:

الأنثروبولوجيا هذا العلم الذي أسيئ استخدامه في بداياته، ها هو الآن يصحح مساره ويبسط نفوذه لمعالجة قضايا الإنسان من مختلف أبعادها، وتعتبر الأنثروبولوجيا الدينية أحد أهم فروع الأنثروبولوجيا، وقد حاولنا خلال هذه المقالة البحثية تقديم إضاءة مفاهيمية حول مقاربة الباحث الفرنسي "كلود ريفيير" حول الأنثروبولوجيا الدينية، ويمكن الخروج بالنتائج التالية:

- إن موضوع الأنثروبولوجيا بصفة عامة لدى "ريفيير" هو الإنسان –الأنثروبوس- كوحدات اجتماعية تتشكل بشكل هرمي، لكن لا فضل لمجتمع أو شعب على آخر.
- حاول ريفيير تغيير الذهنية النمطية التي كرستها البحوث الأنثروبولوجية السابقة حول الشعوب الأخرى بكونها شعوبا متوحشة يجب تهديمها وإلغاء وجودها، ودافع عنها لأنها تمتلك الحق في العيش والاختلاف.
- تقع الأنثروبولوجيا في قلب مختلف التخصصات، وتستفيد من مختلف الجهود البحثية لعلماء الاجتماع والتاريخ والدين والآثار وغيرهم، ولذلك يكون عمل الأنثروبولوجي صعبا ومعقدا ويتطلب مناهج وتقنيات متنوعة وصارمة، وبذلك ينفي "ريفيير" أن يكون الأنثروبولوجي مجرد جامع للآراء ومكرر للتأويلات السابقة.
- انتهج الباحث "كلود ريفيير" في مقاربته حول أنثروبولوجيا الدين استراتيجية تقوم على : نقد الدراسات السابقة للدين (دوركايم، وماكس ويبر)، واقترح في الأخير أنه علينا إذا أردنا التأسيس لأنثروبولوجيا الدين أن نعيد ربط الأنثروبولوجيا بالتخصصات البينية التي تتقاطع معها، وألا يبق الأنثروبولوجي حبيس التصورات التي قيلت سواء حول المجتمعات البدائية أو المعاصرة، و أن يعيد النظر في الظاهرة الدينية كظاهرة إنسانية في شرق المعمورة وغربها في شمالها وجنوبها.
- لينتهي إلى القول أن الدين لم يفقد مكانته في العالم المعاصر، ولا يزال الإنسان كائنا دينيا.

قائمة المصادروالمراجع:

إميل دوركاهيم. (2019). *الأشكال الأولية للحياة الدينية* (الإصدار ط1). (رندة بعث، المترجمون) لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

جميل حمداوي. (2017). *سوسيولوجيا الأديان* (الإصدار ط1). المغرب: أفريقيا الشرق.

جيرار لكلرك. (1990). *الأنثروبولوجيا والإستعمار* (الإصدار ط2). (جورج كتورة، المترجمون) لبنان: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع.

رشيد الإدريسي. (2020). *إدموند دوتي* (الإصدار ط1). المغرب: المركز الثقافي العربي.

عبد الغني عماد. (2006). *سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة* (الإصدار ط1). لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

كلود ريفيير. (2015). *الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان* (الإصدار ط1). (أسامة نبيل، المترجمون) مصر: المركز القومي للترجمة.

مارك أوجي. (2016). *أنثروبولوجيا العوالم المعاصرة* (الإصدار ط1). (طواهري ميلود، المترجمون) الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع.

ماكس فيبر. (1990). *الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية* (الإصدار ط1). (محمد علي مقلدة، المترجمون) لبنان: مركز الإنماء القومي.

مصلح الصالح. (1999). *الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية إنجليزي عربي* (الإصدار 1). المملكة العربية السعودية: عالم الكتب.

babelio. (1995). *babelio.com*. تاريخ الاسترداد 12 1, 2023، من www.babelio.com: https://www.babelio.com/livres/Riviere-Les-rites-profanes/46890

Berque Jacques. (1988). d'Aux sources (une thèse universitaire entretien avec Bernard). *Cahiers ethnologiques* ، *2*، الصفحات 431-439 (Traimond).

Claude Rivière. (2013). *Introduction à l'anthropologie* (الإصدار 3). Paris، Hachette. France:

Claude Rivière. (1996). *AUX MARGES DU SACRÉ LA RITUALITÉ*. تاريخ الاسترداد 14 2, 2023، من https://www.religiologiques.uqam.ca/no9/riviere.pdf: https://www.religiologiques.uqam.ca/no9/riviere.pdf

claude Rivière. (2007). Un réenchantement du monde. *Ethnologie française* ، 160-157 .p.

claude Rivière. (1990). *Rite de la vie chez les Evé du Togo Union et procréation en Afrique*. (الإصدار ed 1). Paris: L'Harmattan.

Religion and Modernity in the French Context: For a New .(1990) .e Hervieu-Léger1Danié .1 ، *Sociological A nalysis* .Approach to Secularization

Université) .RIVIÈRE, Claude, Socio-anthropologie des religions .(1999 ,6) .Frédéric Laugrand de philosophie Laval Faculté، المحرر) *Laval théologique et philosophique* ، 55 (2).

Irène Bellier. (2002). Claude Rivière Anthropologie politique. *Ethnologie française* ، 32 (3)، الصفحات 541-566.

Claude Rivière, Socio-anthropologie des religions, collection .(1997) .Jean Marie Seca *Cursus Sociologie*». تاريخ الاسترداد 4, 2023، من https://www.persee.fr/doc/raipr_0033-9075_1998_num_127_1_3499_t1_0151_0000_2.

puf. (2000). *www.puf.com*. تاريخ الاسترداد 18 1, 2023، من www.puf.com: https://www.puf.com/Auteur%3AClaude_Rivi%C3%A8re

Archives de ?égalité'l à Introduction: La religion: un frein .(1996 ,6) .Roland. J Campiche *sciences sociales des religions* ، 41 (95)، الصفحات 5-9.